٢١ ـ الحديث الحادي والعشرون :
« الاستقامة »

عن أبي عمرو، وقيل ابي عمرة، سفيان بن عبدالله (رضي)، قال: قلت يارسول الله، قل لي في الاسلام قولاً لا اسأل عنه أحداً غيرك، قال: قل: آمنت بالله، ثم استقم، رواه مسلم.

٢ـ أهميته وألفاظه:

* قال النووي: وفي حديث ابي اسامة: غيرك، بدل بعدك، وقال ايضاً: وروى الترمذي هذا الحديث وزاد فيه: قلت يارسول الله ما أخوف ما أخاف عليّ، فأخذ بلسانه ثم قال: هذا. وفي رواية: قلت يارسول الله حدثني بأمر أعتصم به، قال: قل ربي الله ثم استقم، قال ابن رجب، بعد ايراد هذه الرواية: طلب منه ان يعلمه كلاماً جامعاً لأمر الاسلام، كافياً حتى لايحتاج بعده الى غيره[١]، وقال القاضي عياض: هذا من جوامع كلمه «ﷺ»[٢].
* ولاريب انها وصية جامعة لخصال الدين كلها، وذلك لعموم معنى الاستقامة، فالايمان بالله هو اساس العقيدة والعبادة، والاستقامة هي اساس المعاملة وركن الشريعة الاول، فالحديث شامل لجميع عقائد الاسلام وعباداته وشرائعه ومعاملاته، كما أنه شامل للشرط الأساسي لها جميعاً، وهو تحري الصواب وموافقة مايريده الله منها وفيها.
* وقال النووي: وهي «الاستقامة» من جوامع الكلم وهي نظام الامور.[٣]

---

(١) الجامع ص ١٧٧.
(٢) شرح مسلم ج٢ ص٨، والاذكار ص٣٦٧.
(٣) رياض الصالحين ص٥٣.

٣ ـ شـــرحه:

أ) البيان اللغوي:

* في الاسلام: فيما يكمل به، ويستدل به على توابعه، أوفي شأنه وحقيقته.
* استقم: الاستقامة هي امتثال كل مأمور، وترك كل محذور، وقيل: ملازمة الطريق وسلوك الطريق المستقيم، واصلها: استقامة القلب على التوحيد، ومعرفة الله وخشيته وتعظيمه ومحبته، والاعراض عن غيره، فاذا استقام القلب استقامت الجوارح على الطاعة، وبخاصة اللسان، ولما كان الحديث كما ذكر العلماء مطابقاً لقوله تعالى: ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا... الاية [1]، او منتزعاً منها كما قال ابن رجب، فما قيل في معناها يقال في معنى الحديث، ومما قالوه في الاية: ١ ـ قال ابو بكر: لم يشركوا بالله شيئاً ولم يلتفتوا الى غيره.
٢ ـ وعن عمر: لم يروغوا روغان الثعلب (اي يميلوا عن الحق). ٣ ـ وعن ابن عباس: استقاموا على اداء فرائضه ٤ ـ عن أبي العالية: أخلصوا له الدين والعمل ٥ ـ عن قتادة: استقاموا على طاعة الله [2].
* وقال القشيري: الاستقامة درجة بها كمال الأمور وبوجودها حصول الخيرات، وقيل: هي الخروج عن المعهودات، ومفارقة العادات، والقيام بين يدي الله على حقيقة الصدق [3].

ب) المعنى الاجمالي:

كانت الوصايا الجامعة منه ﷺ بناء على طلب بعض الصحابة، إحدى وسائل التبليغ والبيان النبوي البليغ، وفي هذا الحديث جمعٌ للدين في كلمتين: الايمان والاسلام، بل وربما شملت الإحسان، فهو شامل للعقيدة والشريعة والأخلاق، ولايخفى على عاقل: ان من التزم هذين المبدأين حصّل أسباب السعادة في الدنيا والنجاة في الاخرة، قال ابن رجب: طلب منه ان يعلمه كلاماً جامعاً لامر الاسلام كافيا حتى لايحتاج بعده الى غيره، فأمره

---

(١) الآية ٣٠ من سورة فصلت.

(٢) الجامع ص ١٧٨. / وفي رياض الصالحين: قال العلماء: معنى الاستقامة: لزوم طاعة الله تعالى، قالوا وهي من جوامع الكلم وهي نظام الامور/ ص ٥٣/ باب في الاستقامة.

(٣) شرح مسلم ج٢ ص ٨.

بالايمان والاستقامة، وهو الدين القويم من غير تعويج عنه يمنة ولايسرة، ويشمل ذلك فعل الطاعات كلها الظاهرة والباطنة، وترك المنهيات كلها، فصارت هذه الوصية جامعة لخصال الدين كلها.[1].

٤ ـ بعض مايرشد اليه:

* الاسلام يدخل في مسماه الايمان والعمل، والايمان تصديق بالقلب واقرار باللسان وعمل بالجوارح.
* الايمان والاسلام (اي العمل) متلازمان، لتحقيق السعادة والنجاة، فلا يكفي ايمان من غير اسلام، ولا العكس.
* الاستقامة هي عين الكرامة كما ذكر العلماء.
* مراعاة طبيعة المتعلم واستعداده عند تعليمه.
* بساطة الاسلام في فلسفته وتشريعه وتكاليفه.
* الايمان بالله هو الأساس للعمل، صحة وشرطاً وقبولاً.
* الاخلاق في الاسلام تتصل بالعقيدة اتصال الفروع بالأصل.
* التعلم الذي تستمر نتائجه، هو التعلم الواضح القائم على الفهم والرغبة ودقة التعليم.

٥ ـ بعض تطبيقاته:

* ذكر القشيري عن بعضهم: أنه رأى النبي ﷺ في المنام، فقال: يارسول الله، قلت: شيبتني هود وأخواتها، فما شيبك منها؟ قال: قوله: فاستقم كما أمرت[2].
* وعنون النووي له في شرح مسلم بقوله: باب جامع اوصاف الاسلام[3].
* عن الحسن البصري: لما نزل قوله تعالى: فاستقم كما أمرت، شمّر رسول الله ﷺ فما رُؤيَ ضاحكاً[4]

---

(١) الجامع ص١٧٨.

(٢) السابق ص ١٧٨. (٣) ص ٨ ج٢. (٤) الجامع ص ١٧٨.

* عنه ﷺ: «لايستقيم ايمان عبد حتى يستقيم قلبه، ولايستقيم قلبه حتى يستقيم لسانه»[1].

* قال القاضي عياض: وهو مطابق لقوله تعالى: ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا . . . فلم يحيدوا عن التوحيد والتزموا طاعته الى ان توفوا على ذلك، قال: وهو معنى الحديث[2].

* ليس الايمان بالتمني، ولكن ما وقر في القلب وصدقه العمل، وهو نص حديث نبوي[3].

* حين حدد الامام حسن البنا رحمه الله الوسائل العامة للدعوات، وهو بصدد تحديد نقاط البدء في مسيرة الحركة الاسلامية، ذكرانها لاتعدو ثلاثة أمور، هي: ١) الايمان العميق ٢) التكوين الدقيق ٣) العمل المتواصل[4]، وأقول: ان هذه الوسائل ماهي الا أعادة صياغة للحديث وبلورة عملية لمضمونه.

* وحين تكلم الاستاذ فتحي يكن عن متطلبات تربية وتكوين الفرد المسلم العامل، جعل اهمها واولها: المنهج السليم، وعرفه بأنه المنهج الذي تتكامل فيه جوانب التربية كلها، الفكرية والروحية والاخلاقية والحركية[5]، وفي تقديري، ان هذا المنهج لايخرج عن مضمون: قل آمنت بالله ثم استقم.

* إن هذه الوصية لم تبق وصية فردية تخص السائل وحده، وانما سرعان ما سرت في جسم الامة كله، فكانت وراء مواقف من الثبات والصمود في حياة الصحابة وخيار التابعين (رضي)، فهي وراء موقف بلال وابن مسعود وابى ذر وغيرهم ممن ضمخوا صحائف التاريخ بأريج ثباتهم واستقامتهم.

* ليس هناك من منهج اصلاحي قديم او حديث، ولاكتاب في اصول الدعوات واساليب الوعظ إلا وأفرد للاستقامة وحقيقتها وشروطها ووسائلها مجالا كبيراً، فهاهو على سبيل المثال الشيخ علي محفوظ يقول ضمن محاضرة خاصة عن الاستقامة: وذلك بعد ان اورد الحديث: سأله (رضي) ان يبين له في دين

---

(١) السابق ص ١٧٩.

(٢) شرح مسلم ص ٨ ج٢. (٣) كيف ندعو الى الاسلام/ فتحي يكن ص ١٦. (٤) مشكلات الدعوة والداعية/ لفتحي يكن ص٢٢٨.

(٥) السابق ص ١٤٧.

الاسلام وشريعته فولا جامعاً لاموره، يكفيه، بحيث لايحتاج الى ان يسأل عنه احداً بعد رسول الله ﷺ لكونه واضحاً في نفسه، مبيناً لغيره، فأجابه ﷺ بالاقرار بالتوحيد لله، ومعرفته بربه اولا، ثم الاستقامة على طريقة الدين، اوامره ونواهيه، عقائده وعباداته، معاملاته وآدابه، وهذا من بديع جوامع الكلم التي اختص بها ﷺ فانه جمع للسائل في هاتين الجملتين جميع معاني الاسلام، لانه اجمالا امور اربعة: عقائد، وعبادات، ومعاملات، واخلاق كريمة[1].

* حين بحث العلماء ورجالات الاصلاح مشكلات الدعوة وصفات الدعاة، وعوامل نجاح الدعوات ذكروا في طليعتها: استقامة الدعاة[2].
* اورد القشيري من ثمرات الاستقامة: إدامة الكرامة، اخذاً من الاية: وان لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقاً: أي خيراً كثيراً[3].

٦ ـ مناقشة حول الحديث:

س١) اذكر اية في معنى الحديث؟ جـ) «فاستقم كما أمرت ومن تاب معك»[4]، وقوله تعالى «ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا . . . . الآية»[5].

س٢) لماذا أمره بالاستقامة بعد الايمان؟ جـ٢) لأنه يندرج تحتها جميع انواع الطاعة، فيكون ذلك موافقاً لرغبته ومطلبه في اشتراط الكفاية فيما يذكره له ويدله عليه من امور الاسلام.

س٣) ما علاقة الحديث بالاربعين ؟ جـ٣) إنه يتصل بكل حديث منها، بل إنه يمثل نصف نصوص القرآن والسنة، بل كلها، لانها جميعاً تدور حول العقيدة والسلوك، ولكن هذه العلاقة يمكن ملاحظتها بوضوح وخصوصية مع حديث: الحلال بيّن، وحديث حفظ اللسان، وحديث اركان الدين، واركان الاسلام، وحديث الحياء، وحديث اتق الله وخالق الناس، وحديث الاحسان لكل

---

(١) هداية المرشدين الطبعة السادسة ١٩٥٨/ ص ٣٣٠.

(٢) الدعوة الى الاصلاح/ شيخ الجامع الازهر/ محمد الخضر حسين/ الطبعة الثانية ١٩٧٣م ص ١١٠.

(٣) الرسالة القشيرية ص٩٥ الآية ١٦ من سورة الجن.

(٤) الآية ١١٢ من سورة هود. (٥) آية ١٣ من سورة الاحقاف/ والآية ٣٠ من سورة فصلت.

شيء، وحديث ترك مالايعني . . . الخ

س٤) اذكر بعض ما ورد في تفسير الاستقامة؟

س٥) هل الايمان في الحديث يشمل الاسلام؟ جـ٥) الظاهر ان الايمان فيه خاص بتصديق القلب الجازم، ولذا عطف عليه الاستقامة، التي تشمل الاسلام، فالحديث بذلك شامل للايمان والاسلام، ولكن بالمعنى العام للاسلام، وليس القاصر على الاركان الخمسة، والعام هو: اظهار الخضوع والقبول التام لما جاء في الشريعة.

س٦) كيف يمكن تحقيق استقامة الجوارح؟ جـ٦) باستقامة القلب واللسان كما ورد في حديث [١].

س٧) هل المطلوب تحقيق الاستقامة الكاملة؟ جـ٧) لا، بدليل قوله ﷺ في حديث آخر: «استقيموا ولن تحصوا . . .»، وقوله: «سددوا وقاربوا»، كما يفهم من حديث: اتق الله . . . واتبع السيئة، وقوله تعالى: فاستقيموا اليه واستغفروه، حيث عطف الاستغفار على الاستقامة، اشارة الى انه لابد من تقصير في الاستقامة المأمور بها [٢].

س٨) بين علاقة الاستقامة باللسان؟ جـ٨) تظهر من الحديث: الذي تقول فيه الاعضاء للسان عند كل صباح: «. . . . . اتق الله فينا، فانما نحن بك، فان استقمت استقمنا وان اعوججت اعوججنا» [٣].

س٩) هل يكفي في تحصيل الايمان، الاعتماد على البراهين العقلية؟ جـ٩) لا، بل الايمان المتولد من ذلك ايمان ناقص، والايمان الكامل يحصل بتعاطي اسبابه وازالة موانعه، **واسبابه**: الاعمال الصالحة، لانه نتيجتها، **وموانعه**: الاخلاق الرديئة التي في النفوس كالعجب والسمعه [٤].

س١٠) ذكر ابو علي الدقاق «من ائمة الصوفية» للاستقامة ثلاثة مدارج، فماهي؟

جـ١٠) (١) التقويم: أي تأديب النفوس. (٢) الاقامة: اي تهذيب القلوب. (٣) ثم الاستقامة [٥].

---

(١) جامع العلوم ص ١٧٩. (٢) السابق ص ١٧٩. (٣) السابق ص ١٧٩. (٤) الفتح الرباني ص١٨٢.

(٥) الرسالة القشيرية ص ٩٤.